طوينا »ذاكرة الصحافة المغربية» التي ستصدر في كتاب، لنحلق بعيدا في رحاب نفس القطاع، ولكن مع الاختلاف في كون السفر الأول كان في الزمان، رجوعا إلى ماضي المؤسسين، وهذا السفر الثاني هو سفر في المكان بحثا عن بروفايلات ومسارات الصحافيين المغاربة العاملين بالخارج. هم كثر يعدون بالمئات، متألقون، حيث يشتغلون في القارات الأربع وفي أكبر المؤسسات الإعلامية عبر العالم، منهم المدير والمسؤول ورئيس التحرير وكبير المراسلين، ومنهم المحرر والمراسل الحربي والمحلل، لهم حكايات وقصص ومغامرات تستحق أن تروى لتكون شاهدا على أن السؤال الذي نطرحه هنا يبقى مشروعاً: لماذا توجد أنفس الكفاءات الصحافية في الخارج والإعلام هنا في الوطن يئن؟ الجواب في ثنايا هذه الشهادات لكتاب التاريخ اليومي بأقلام سفراء المملكة الشريفة.

محمد مسعاد يحكي عن قصة الانتقال من وظيفة بالمحمدية إلى تجربة صحافية ببرلين

حبّان يقودان إلى تلفزيون ألمانيا

محمد مسعاد يعيش في عالم بعيد عنّا ولكنه أقرب الدول الأوربية إلى قمة العطاء اقتصاديا وإعلاميا. في "الدوتشيه فيلا" كان القدر ينتظر مسعاد ليعمل في الإذاعة والتلفزة الألمانية بعدما تزوج في المغرب عن طريق حبين، زوجة كانت تهيئ الدكتوراه في بلد أنجيلا ميركل، وصحافة عشقها عن طريق صحيفة "الاتحاد الاشتراكي" التي كان يقام لها ولا يقعد حينها.

» حاوره: **يوسف بجاجا**

← هل كنت ترغب في ممارسة الصحافة؟

■ **عندما يستحضر المرء الأمنيات التي كانت تجول في خلده أيام الطفولة، ردا على السؤال ماذا تتمنى أن تصير في المستقبل؟ من دون شك تعلوه ابتسامة خفيفة وهو يتذكر عدد المهن التي كان يحلم بها. مرة كنت أتمنى أن أكون أستاذا وأخرى دركيا ومرات عديدة تمنيت أن أصير ملكا للبلاد. وطبعا هي أمنيات مرتبطة باللحظة النفسية والوقتية، غير أن علاقتي بصاحبة الجلالة بدأت تدريجيا مع مرحلة الإعدادي.**

← كيف ذلك؟

■ **في هذه المرحلة كان التأثير كبيرا لعدد من الأساتذة الأجلاء الذين ساهموا في تشكيل وعينا الفردي والجماعي نحو ما يجري في البلاد من أحداث طبعت تاريخ المغرب. طبعا لعبت الصحافة الحزبية، وعلى رأسها جريدة "الاتحاد الاشتراكي"، دورا كبيرا في بلورة هذا الوعي في منتصف الثمانينيات.**

وقد توثقت هذه العلاقة أكثر في مرحلة الثانوي عندما تعرفت على الأستاذ عبد الكريم الأمراني الذي شجعني كثيرا، وبدأت أزور جريدة الاتحاد الاشتراكي في زنقة الأمير عبد القادر.

وقد صادف انطلاق القناة الثانية التحاقي بالجامعة في مدينة الرباط، تخصص الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس، حيث شكلت انطلاقة هذه القناة فرصة للمغرب الذي كان يعيش تحولا بالطريقة التي نعرفها جميعا، وما صاحب ذلك من تململ في الحريات العامة والرأي، وطبعا الصحافة كانت جزءا من ذلك الجو العام.

وحين انفجرت حرب الخليج الأولى، بدأت تثير مهنة المتاعب فضولا في داخلي، إذ أتذكر وقتها إطلالة كل من أنس بوسلامتي وفاطمة الوكيلي في قناة عين السبع، لقد كانا نجمي أخبار الظهيرة، فيتجمع قاطنو الحي الجامعي مولاي اسماعيل في الكافيتريا لمتابعة الأخبار، وغالبا ما تنتهي المتابعة بتظاهرة تجوب الحي احتجاجا على تلك الحرب.

← هذا يعني أنكم لم تدرسوا المهنة في أحد المعاهد المختصة؟

■ **شخصيا ليس لدي أي تكوين أكاديمي في مجال الصحافة. تكويني جاء من الميدان، وعن طريق عدد من الدورات التكوينية التي أقوم بها الآن، هذا بالإضافة إلى أنني لم أعمل كصحفي محترف في المغرب قبل الهجرة، بل كانت لي مساهمات بسيطة كمهتم بما يلفت نظري لأحوله إلى مادة صحفية، وبخاصة في صحيفة "الاتحاد الاشتراكي"، حيث نشرت أولى المواد الصحفية بتشجيع من الصديق حسن نجمي.**

← هناك عدد لا بأس به من الصحافيين المغاربة الذين لم يدرسوا الصحافة في أحد المعاهد، وتألقوا بعد ذلك أثناء الممارسة وكونوا تجارب لا يمكنهم نسيانها، هل حدث لكم نفس الأمر؟

■ **سأتحدث لأول مرة عن تجربتين تركتا أثرا بالغا في حياتي. تعود التجربة الأولى إلى سنة الباكالوريا في ثانوية إبن العوام، إذ خضنا كتلاميذ إضرابا عن الدراسة لثلاثة أيام، أوقفنا فيها الدراسة الثانوية احتجاجا على نظام الأكاديمية في أواخر الثمانينيات. وكان من بين ما حققناه وقتها إصدار مجلة ورقية مطبوعة برقم استدلالي، كنت أشرف على افتتاحيتها، وأتذكر أستاذي مصطفى العوام رحمة الله عليه، حيث كان قد خاطبني وقتها قائلا لي: "عليك بمعهد الصحافة".**

وأما التجربة الثانية فتعود للجامعة، حيث أقدمنا على إصدار مجلة سرية بمناسبة ثامن مارس، رفقة الصديقين يوسف مزي وعبد الله أمسقر، وكانت مجلة ممتازة وزعناها على جميع

الجامعات المغربية تقريبا، وقد طبعناها بشكل سري في إحدى المطابع التابعة لشخص من حزب الاستقلال في الصخور السوداء ليلا ولمدة أسبوع.

← لكن كيف جاءت الهجرة والالتحاق بـ"الدوتشي فيله" بألمانيا؟

■ جاءت الهجرة إلى ألمانيا بمحض الصدفة.

← كيف؟

■ بعد تخرجي من الجامعة، اشتغلت موظفا في رئاسة جامعة المحمدية لمدة أربع سنوات، أتذكرها الآن بمرارة، لأنني صراحة كنت موظفا كأغلبية موظفي المملكة السعيدة. موظفون لا ينتجون شيئا. المهم كنت أتابع دراستي العليا في علم الاجتماع في الرباط ، وهناك تعرفت على زوجتي التي جاءت من ألمانيا لتطلع على سير الجامعة بعد حصولها على دبلوم الدراسات العليا، و كان سي محمد جسوس رحمة الله عليه قد نصحها بالحصول على شهادة الدكتوراه. تكونت علاقة حب بيننا وتزوجنا وهاجرت برفقتها بنية أن تنهي دراستها، غير أن الرحلة المؤقتة تحولت إلى رحلة دائمة وأصبحت من مغاربة العالم أعيش بين بين. وفي هذا الصدد أود أن أشكر زوجتي على هذه التجربة الحياتية التي منحتها لي، ولا أجد إلا البيت الشعري لأبي تمام أردد معه:

"وطولُ مقام المرء في الحي مُخلِقٌ
×× لديباجتيه فاغتربْ تتجدّد"

في ظل أجواء الهجرة والجاليات العربية والمغربية، وجدت نفسي ألج عالم الصحافة مأخوذا بتجربة رائعة للصحفي الأممي محمد باهي رحمة الله عليه، ورسائله الباريسية التي تعد كنزا حقيقيا في الصحافة الوطنية. بدأت علاقتي تتوطد تدريجيا مع صحيفة "الاتحاد الاشتراكي"، إذ بدأت أراسلها من ألمانيا، وقد صادف وقتها الحادث الإرهابي الذي هز العالم لسنة 2002، فكانت ألمانيا جزءا من المطبخ الذي حضرت فيه العملية وبالخصوص مدينة هامبورغ وظهور أسماء مغربية، من هنا بدأت أراسل الجريدة وأسلط الضوء على تداعيات الحادث الإرهابي في ألمانيا.

أما التجربة الأخرى التي أعتز بها، وهي متابعة تنظيم كأس العالم في ألمانيا سنة 2006، فعلى الرغم من أنني لم أكن وقتها مولعا بكرة القدم، غير أنني حاولت أن أنقل للقارئ المغربي تلك الأجواء الرائعة التي نظم فيها كأس العالم والرهان الذي كانت تعول عليه ألمانيا. فغالبا ما كانت التغطيات تركز على تفاصيل أخرى غير نتائج كرة القدم، هذا بالاضافة إلى محاولة مني استنساخ تجربة المرحوم باهي ولو أن الفرق شاسع، من خلال رسائل برلين لنقل صورة عن الحياة السياسية والاجتماعية في ألمانيا إلى القارئ المغربي. وكنت أصر على نقل التفاصيل لإثارة الانتباه في المغرب إلى ألمانيا كبلد أعاد بناء ذاته بعد الدمار الذي لحقه إبان الحرب العالمية الثانية، وذلك للخروج من حالة التحنيط التي خلفتها علاقتنا مع فرنسا.

محمد مسعاد بالديار الألمانية

← وكيف جاء الالتحاق بـ"الدوتشي فيله"؟

■ لا بد من الاعتراف أن علاقتي بهذه المؤسسة العريقة جاءت عن طريق الصدفة، ويرجع الفضل في ذلك إلى صديق تفرقت بنا السبل للأسف، ألا وهو رشيد بوطيب، إذ تعرفت عليه وعلى "الدويتشه فيله" إبان احتضان معرض فرانكفورت الدولي للكتاب للثقافة العربية كضيف شرف في سنة 2004، ومنذ ذلك الوقت تقوت علاقتي بالدويتشه فيله أونلاين والتلفزيون، ومن خلال هذه المؤسسة بدأت أتشرب قواعد الحرفة على أصولها، بل إنها فتحت لي حتى أفق الكاميرا وأمور أخرى.

← مثلا؟

■ التمرس على العمل التلفزي من كاميرا وانتاج ومونتاج. كما أن التحرير في العمل التلفزي أفادني كثيرا في كتاباتي الأدبية. فالتحرير التلفزي يعلم المرء التكثيف في اللغة، والابتعاد عن الإطناب.

إن اعتزازي قوي بهذه المؤسسة، وقد فتحت لي الطريق لكي أنجز حوارات ولقاءات مع شخصيات ألمانية من عالم السياسة والثقافة والمجتمع، كان أقواها الحوار الذي أجريته مع الكاتب العالمي غونتر غراس، والذي ترك أثرا كبيرا داخل المؤسسة.

بهذه المؤسسة أيضا، تلقيت عددا من دورات التكوين من خلال أكاديميتها التي تعد من أجود المؤسسات العالمية. ولقد توسعت آفاقي الصحفية إلى مجالات أخرى من عالم صاحبة الجلالة كالروبورتاجات مثلا. وقد كان لكل ذلك الفضل في إشرافي على الحملة الإعلامية لاحتفالات الجالية المغربية بمرور خمسين سنة على التواجد المغربي في ألمانيا، تحت إشراف شبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا التي أعتبر واحدا من مؤسيسها في سنة 2009.

← ما هي مهامك في "الدوتشي فيله"؟ وكيف تتواصل مع زملائك من صحافيي العالم المغاربة؟

■ أشتغل في مهام التحرير والترجمة وإنجاز التقارير التلفزية. وقد شاءت الصدف الجميلة والتي أعتز بها في مساري المهني، أن ألتقي صديقي وأخي أنس بوسلامتي مرة أخرى كزميل في هذه المهنة. ويرجع الفضل لأنس في لم شتات صحفيي المهجر الذين يصل عددهم إلى نحو ثلاث مئة صحفي مغربي موزعين على كبريات المؤسسات الإعلامية العالمية في القارات الخمس.

طاقات كبيرة تعيش خارج المغرب بتجربة كبيرة قادرة فعلا على خلق التميز في إعلامنا المغربي وربح التنافسية في هذا المجال. إن التجربة التي يراكمها صحفيو المهجر في القطاع الخاص أو القطاع العمومي كـ"الدوتشه فيله" و"بي بي سي" و"فرانس 24" لجديرة بأن تردم الهوة التي يعرفها إعلامنا المغربي. من هنا أعتبر أن الهجرة أفق إيجابي يجعلك تخرج من أفق ضيق إلى أخر أكثر رحابة لترى الأمور بمنظور مختلف.

محمد مسعاد رفقة عدد من الصحافيين المغاربة بديار المهجر